

كلمة الأستاذ

لوجي ماستريوني

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

للطب لعام 1409هـ / 1989م

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني

أصحاب السمو الأمراء

أصحاب الفضيلة والمعالي

أيها الحفل الكريم

يشكل اليوم ثامن احتفال بمنح جائزة الملك فيصل العالمية للطب. وقد تضمنت الموضوعات الطبية السابقة، التي خُصت لها الجائزة، أمراضًا مثل الملاريا، وداء الإسهال و التهاب الكبد، ومرض البول السكري، والعمى. وترتبط كلها في خصيصة مشتركة، أي أن كل واحد منها يُحدث تأثيرًا ليس على الأفراد الذين يُصابون به فحسب بل على المجتمع ككل أيضا. وكذلك فإن موضوع الجائزة لهذا العام وهو (العقم) ينطوي على مضاعفات اجتماعية بعيدة الأثر. ومن الواضح، فإن أي شيء يمكن أن يؤثر على إمكانية التكاثر لدى الأفراد ستترتب عليه آثار واسعة على الصعيد الاجتماعي. ومن المفارقات، أن علم الأحياء التناسلي الذي يشكل الدعامة الأساسية للتطورات الجديدة في ميدان المعالجة العقم، يعالج القضايا الجوهرية لتنظيم الأسرة على حد سواء. وإذ توصلنا لفهم ماهية عملية التناسل وكيفية تفادي حدوثها، أصبحنا في موقع أفضل لمعرفة السيطرة عليها. وهناك الذين يمكن أن يتبنوا الرأي القائل من أن المشكلة الرئيسة للعالم لا تكمن في العقم بل في زيادة الإنجاب التي تتجلى في الزيادة المثيرة لسكان العالم مع ما يترتب عليها من آثار منهكة لموارد العالم.

ومن الواضح أنه ليست في حوزتنا، في هذه المرحلة، وسائل لتنظيم تكون الأسرة مناسبة ومقبولة لدى فئات المجتمع العالمي كافة. ومن ناحية أخرى، يُقدّر أن واحداً من كل عشرة أزواج يكون عقيماً على نحو لا إرادة له فيه. وحتى في مناطق العالم التي تمتاز بالزيادة الهائلة في عدد سكانها، فإن كان علينا أن نهيب بالأفراد التفكير في الحدّ من حجم أسرهم، فهلا يكون علينا أن نستخدم الموارد لمساعدة أولئك الذين لم يتسن لهم حتى إنجاب طفل واحد على الأقل؟. وبالنسبة لي، بصفتي باحثاً سريريّاً وتقع على كاهلي مسؤولية المرضى من الأفراد، فإن أهمية العقم تنعكس بأجلى صورها ليس في الناحية الديموغرافية بل من حيث تأثيرها على حياة الأفراد. علينا الأخذ بعين

الاعتبار، وبخاصه، الأثر المدمر لعدم الإنجاب على النساء، الذي يمكن أن يؤدي في بعض الحالات إلى الانفصال وحتى إلى الطلاق. ويرتبط العقم في أذهان كلا الجنسين من الرجال والنساء، في أدنى صورته، بمشاعر الإحباط وخيبة الأمل وفقدان السعادة. ويوجد القليل من الأنظمة المساعدة لمعالجة هذه القضايا.

وقد شهد العقدان الأخيران تقدمًا مذهلاً في مجال فهمنا لعملية التكاثر الإنساني. مما أدى بدوره إلى تحسين طرق معالجة العقم، التي كانت مذهلة في بعض الأحيان. ويوجد طرق أفضل وأكثر حداثة لمعالجة أمراض قنوات الأحياء، وتقييم الإباضة وتنشيطها ومعالجة النقص في إنتاج الحيامن. وقد أدت هذه الطرق إلى تحقيق علاج ناجح لحالات كانت تعتبر في الماضي حالات يائسة. وبالتأكيد فإن أكثر أمور التقدم تلك إثارة، كانت عملية تخصيب البويضة البشرية خارج الجسم في الأنبوب الزجاجي. وقد أدت هذه الطريقة التي أسرت خيال عامة البشر إلى تحقيق الكثير نحو تركيز الانتباه على أهمية الأبحاث الأساسية في مجال التكاثر البشري، التي لم يحدثها أي تقدم علمي بارز آخر.

وقد تشرفت، وبخاصه، لاقتسامي هذه الجائزة مع الأستاذ ادوارد الذي قام بالاشتراك مع الراحل د. باتريك ستبتو، بتحقيق أول عملية حمل ناجحة عن طريق تخصيب البويضة خارج الجسم في الأنبوب الزجاجي. ويشهد عملهما على أهمية العلاقة البيئية المشتركة بين خبير العلوم الأساسية والعالم السريري، ومن خلال هذا التعاون تم إنجاز التحول التقني بصورة نشطة وسريعة.

ولا يسعني إلا أن أنظر إلى هذه الجائزة على أنها اعتراف وتقدير للمساهمات التي قدمها زملائي الذين شاركتم العمل على مدى أكثر من ثلاثة عقود من الزمن. وقد كنت محظوظا في أنني عملت تحت توجيه بعض الرواد الأوائل الأفذاذ، كما كانت علاقتي حميمة، طول تلك الفترة، مع بعض الزملاء ممن هم أصغر سنا مني في قسم علم الأحياء التناسلي في جامعة بنسلفانيا. الذين قدموا من مختلف بلدان العالم ولهم خلفيات دينية وثقافية متنوعة. وقد تعلمت منهم أهمية الاحترام المتبادل، وأن القيم الإنسانية الأساسية لا تختلف في الواقع بين بلد وآخر. وحيث أنه تم التوسع في استكشاف ميادين علم الأحياء التناسلي والتكاثر البشري، فإننا نأمل أن يتم فهم وظيفة التناسل من جوانبها كافة على نحو يكون للأشخاص كافة اختياراتهم السليمة، وإننا لنتطلع بأمل إلى الوقت الذي يحدث الحفل فيه دائما عندما تكون هناك رغبة فيه، وعندما يولد أي طفل يكون هناك شوق لولادته.